

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

Exploring the causes of Drug Spread and Prevention Strategies from the Perspective of Islamic Jurisprudence

- الدكتور: رحمة الله مهرباني¹

- الدكتور: غياث الدين عبيد²

- كلية الشريعة جامعة فراه و بادغيس. أفغانستان

تاريخ الاستقبال: 2025/05/29 تاريخ القبول: 2025/06/10 تاريخ النشر: 2025/06/12

الملخص:

تهدف هذه الدراسة، إلى تحليل جذور ظاهرة الإدمان الخطيرة واقتراح حلول مناسبة وقائية وعلاجية من منظور إسلامي. تسعى هذه المقالة إلى تحديد العوامل الفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية التي تساهم في انتشار تعاطي المخدرات، ثم تحليل سبل مواجهتها في ضوء تعاليم الإسلام. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي-التحليلي، من خلال الاستناد إلى المصادر الإسلامية المعتبرة، كالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والكتب الفقهية، لتوضيح الأسس النظرية والفقهية لهذه القضية. تشير نتائج البحث إلى أن ضعف الإيمان، والبطالة، ومرافقة رفقاء السوء، والمشاكل الأسرية، والفقر الاقتصادي تُعد من أبرز العوامل التي تؤدي إلى انتشار المخدرات. في المقابل، فإن تعزيز العقيدة الدينية والقيم الإسلامية من خلال الالتزام بالعبادات، وتطبيق العقوبات الشرعية، وتحريم زراعة وتجارة المخدرات شرعاً وقانوناً، وإنشاء مراكز علاجية خاصة بالتعافي من الإدمان، وتوفير فرص العمل للمتعافين، كلها من الاستراتيجيات التي توصي بها الشريعة الإسلامية للتصدي لهذه الظاهرة. وفي الختام، تؤكد هذه الدراسة أن الوقاية من الإدمان وعلاجه لا يكونان إلا من خلال اعتماد منهج شامل إسلامي، يتكامل فيه الإيمان والعقيدة، والعدالة الاجتماعية، ومسؤولية الحاكم المسلم، والتربية الأسرية كدعائم أساسية. وتُظهر هذه الدراسة، من خلال الرجوع إلى المصادر الدينية الأصيلة، أن الإسلام لا يكتفي بتحريم الإدمان، بل يقدم حلولاً شاملة لمواجهته في إطار القيم الدينية والشرعية.

الكلمات المفتاحية: الإدمان، الإيمان، الانتشار، العوامل، المخدرات

-الهاتف: 0093772946126

¹ الإيميل: Rahmatullah.mehrabani@gmail.com

-الهاتف: 0093799826431

² الإيميل: obaidazeemy@gmail.com

الدكتور: رحمة الله مهرباني، والدكتور: غياث الدين عبيد

Abstract

This study, aims to investigate the root causes of the widespread phenomenon of addiction and to propose appropriate preventive and therapeutic solutions from an Islamic perspective. The article explores individual, social, economic, and religious factors contributing to the spread of drug use, followed by an analysis of preventive measures based on Islamic teachings. The research adopts a descriptive-analytical method, drawing upon authoritative Islamic sources such as the Holy Qur'an, Prophetic traditions, and jurisprudential texts to clarify the theoretical and legal foundations of the issue. Findings indicate that weak faith, unemployment, association with delinquent peers, family problems, and economic hardship are among the key drivers of drug proliferation. Conversely, strengthening religious beliefs and Islamic values through adherence to worship, the implementation of Sharia-based punishments, prohibition of drug cultivation and trade, establishment of rehabilitation centers, and providing employment opportunities for recovering individuals are among the recommended Islamic strategies to combat this issue. Ultimately, the study emphasizes that the prevention and treatment of addiction is achievable only through a comprehensive Islamic approach—one that integrates faith, social justice, governmental responsibility, and proper family upbringing as foundational pillars. Drawing on authentic religious sources, this research underscores that Islam not only prohibits addiction but also offers holistic solutions to confront it within the framework of its moral and legal principles.

Keywords: Addiction, Drugs, Factors, Faith, Spread.

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

المقدمة

الحمد لله الذي أحلّ لنا الطيبات، وحَرَم علينا الخبائث، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وكرّمه، وفَضَّلَه على سائر المخلوقات بمزايا عظيمة؛ ومن أهم تلك المزايا: العقل والإدراك، اللذان بواسطتهما يستطيع الإنسان أن يعبد ربه، وأن يساهم في بناء المجتمع الذي يعيش فيه. ومن هذا المنطلق، خاطب الله تعالى أصحاب العقول، وكَلَّفَهُم بمهام عظيمة تعود منفعتها عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والسعادة. وقد حَرَم الله سبحانه وتعالى كل ما يفسد العقل، من المسكرات والمخدرات والمواد الضارة، وفرض عقوبات شديدة ومؤثرة على متعاطي هذه المواد، وعلى من يروج لها أو يُدخلها إلى بلاد المسلمين.

وقد حذّر العلماء - قديماً وحديثاً - من هذه المواد الخبيثة والسموم القاتلة، وبيّنوا الحكم الشرعي الواجب تطبيقه على مرتكبي هذه الجرائم. كما اهتم ولاية أمور المسلمين بالسعي لتطبيق هذه الأحكام الشرعية. وكذلك فإن حكومة الإمارة الإسلامية [أعزّها الله بطاعته، وزادها توفيقاً وهداية] قد بادرت في الآونة الأخيرة بمجدية أكبر إلى متابعة وتنفيذ هذه الأحكام الشرعية.

بيان المسألة

للأسف نرى اليوم أن معظم التجار وأصحاب المهن لا يراعون الضوابط الشرعية والقوانين الإسلامية في معاملاتهم، ويمارسون مختلف أنواع التجارة والمعاملات، حتى وإن كانت غير جائزة شرعاً. وكذلك لا يولون أهمية تُذكر لمسألة الحلال والحرام في استخدام وسائل المعيشة، من طعام وشراب ولباس وغير ذلك، بل إنهم منشغلون بتعاطي المحرمات. فمن جهة نرى تعاطي الأقراص المخدّرة، ومن جهة أخرى شراء وبيع المواد المخدّرة واستخدامها، ومن جهة ثالثة التعدي على أموال الآخرين دون مراعاة التعاليم الدينية، وكل ذلك في وقتٍ أصبح فيه الناس غارقين في هذه الأمور إلى درجة أن مشاهد الجاهلية القديمة أصبحت باهتة أمام جاهلية العصر الحالي، بل إن الجاهلية الحديثة أشد وأخطر من الجاهلية التي سبقت الإسلام.

إن تعاطي المواد المخدّرة المدمّرة - سواء بالتدخين أو الأكل أو الاستنشاق أو الحقن أو غيرها - هو سلوك تخريبي لا يقتصر على المجتمعات الغربية، بل أصاب الشباب المسلمين أيضاً، ليس فقط إصابة بل إن أعداء الإسلام قد جعلوا من هذه السموم أداة حرب للقضاء على شباب الأمة. وعلى الرغم من أن العلماء والمفكرين الإسلاميين على مستوى العالم الإسلامي قد أدركوا ضرورة مواجهة هذا الطوفان المدمر، وقد ناقش الفقهاء والعلماء منذ قرون مسألة أضرار هذه المواد وحكمها الشرعي، إلا أن انتشارها قد تفاقم بسبب بعض المنتفعين الجهلة بالدين والقيم الإسلامية، ومن قبل شبكات المافيا التي لا تهتم إلا بجمع المال من الحرام، فوقع عدد كبير من الشباب في فخ هذه السموم القاتلة.

الدكتور: رحمة الله مهرباني، والدكتور: غياث الدين عبيد

لذلك، فإن تعاطي المخدرات يُعدّ من التحديات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية الكبرى، ويُشكّل تهديدًا خطيرًا على الصحة الجسدية والنفسية للناس في المجتمعات الإسلامية. وتكمن المشكلة الأساسية في أن هذا الوباء الآخذ في الانتشار يستدعي التعرف على العوامل المؤثرة في اتساع دائرة الإدمان، بالإضافة إلى تقديم حلول وقائية وعلاجية من منظور الشريعة الإسلامية.

أسئلة البحث

الأسئلة الأصلية

1. ما هي العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات؟

2. ما هي سبل الوقاية منها في الشريعة الإسلامية؟

الأسئلة الفرعية

1. ما هي الإجراءات التي ينبغي أن تتخذها الحكومة الإسلامية لمكافحة ظاهرة الإدمان على المخدرات؟

2. ما هي أبرز العوامل التي تؤدي إلى انتشار المخدرات بين الشباب؟

منهج البحث

هذا البحث من النوع الكيفي، وقد تم اتباع المنهج الوصفي-التحليلي؛ وُجِّعت البيانات باستخدام الطريقة المكتبية، حيث تم استخراج المعلومات المطلوبة من المصادر الإسلامية الأصلية، مثل القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والكتب الفقهية المعتمدة لدى المذاهب الإسلامية.

وفي تحليل المعلومات، جُمِّعت الآيات والروايات المتعلقة بموضوع تعاطي المخدرات والعوامل المؤدية إلى انتشاره، وتم تصنيفها. ثم، باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، تم بحث وتحليل وجهة نظر الإسلام حول هذه العوامل وطرق الوقاية من التعاطي، مع التركيز على المصادر الفقهية والتفسيرية.

وفي النهاية، تم تقديم حلول عملية للوقاية من تعاطي المخدرات من منظور الشريعة الإسلامية، مع مراعاة إمكانية تطبيقها في ضوء الظروف الاجتماعية والثقافية للمجتمع.

1. تعريف، أنواع وحكم المواد المخدرة

1, 1. التعريف اللغوي والاصطلاحي للمخدرات

1, 1, 1. الفرع الأول - التعريف اللغوي للمخدرات

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

كلمة "المخدرات" في اللغة العربية مأخوذة من مادة "خَدَرَ"، وهي تحمل معانٍ متعددة، منها: الضعف، الوهن، الليونة، العجز، كما تُستخدم أيضاً بمعنى الليل المظلم، البرودة، الخوف، البطء، الحيرة، التردد، الكسل، الخمول، انعدام الغيرة والهمة.¹

وتتجلى جميع هذه الصفات في الشخص المدمن على المخدرات، سواء كانت صلبة أو سائلة.

1, 1, 2. التعريف الاصطلاحي للمخدرات

قد وُضعت تعاريف كثيرة للمخدرات، ومنها: قال العلامة القراني في تعريف المخدر: "هي ما غيّب العقل والحواس دون أن يصحب ذلك نشوة أو سرور".² أي: المخدر هو ما يغيّب العقل والحواس دون أن يحدث نشوة أو فرحاً.

وقال ابن حجر الهيتمي في تعريف المخدرات: "تغطية العقل" دون وجود طرب شديد، لأن الطرب من صفات المسكر.³

وفي النهاية، يُقال إن كل مادة خام أو مصنعة تحتوي على عناصر منبهة أو مهدئة وتُستخدم خارج الإطار الطبي أو الصناعي، ويؤدي استعمالها إلى التكرار والإدمان، وتظهر أضرارها على الأفراد من الناحية الجسدية أو النفسية أو الاجتماعية، تُعد من المواد المخدرة. وهذا التعريف يشمل جميع أنواع المواد المخدرة المعروفة حالياً وتلك التي قد تُكتشف مستقبلاً.

1, 2. أنواع المواد المخدرة

إنّ المواد المخدرة لها أنواع عديدة وتصنيفات مختلفة، يصعب حصرها في تقسيم واحد شامل، وذلك لأنّ صناعة الكيمياء والدواء تُنتج لنا يومياً عشرات الأنواع من التركيبات التي تختلف فيما بينها من حيث التأثير والتركيب وغير ذلك.

وفي هذا السياق، سنقسم هذه المواد إلى ثلاث فئات رئيسية وفق تصنيف بسيط كما يلي:

1. **المواد المخدرة الطبيعية:** وهي المواد التي تُستخلص من النباتات مباشرة، مثل الحشيش، الأفيون (الحشخش)، نبات القات، والتبّاك.

2. **المواد المخدرة الصناعية:** وهي المواد التي تُستخرج من عصارة النباتات المخدرة، ثم تُخضع لعمليات كيميائية بسيطة تُغيّر من شكلها، مثل: الهيروين، الكوكايين، الكودايين، والمورفين.

3. **المواد المخدرة المُصنّعة (الاصطناعية):** وهي مواد لا علاقة لها بالنباتات أو عصارتها، بل تُركّب من بعض المواد الكيميائية، غير أنّ تأثيرها يُشابه تأثير المواد المخدرة الطبيعية والصناعية، ومن أمثلتها: المواد المنومة،

الدكتور: رحمة الله مهرباني، والدكتور: غياث الدين عبيد

والمبتّهات، والمسكّنات، والمخدّرات التي تُفقد الوعي. وأخطر هذه المواد التي تؤدي إلى الإدمان هي: الهيروين، الكوكايين، المورفين، الأفيون، والحشيش.⁴

1, 3. حكم المواد المخدّرة: إنّ الدين الإسلامي الحنيف يأمر الإنسان بكل خير، ويحثّه على الاستفادة من كل ما هو نافع، وينهى عن كل ما فيه ضرر وأذى. ومن هذا المنطلق، فقد حرّم الإسلام استعمال المواد المخدّرة، لما تسبّبه من أضرار جسدية ومفاسد عظيمة، وكما أنّ الخمر وسائر المواد المسكرة لها أضرار كثيرة، فإنّ المواد المخدّرة أيضاً - بكل أنواعها وأشكالها - تُحدث خسائر في الأرواح والأموال، وفساداً اجتماعياً وأخلاقياً، لأنّ العلة والسبب في كلا الأمرين متشابه. وبناءً على ذلك، تُبيّن أدلّة تحريم المواد المخدّرة كما وردت في القرآن الكريم، وسنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإجماع الأمة، على النحو الآتي:

1, 3, 1. دليل من القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157] (يأمرهم بالمعروف - أي كل ما هو حسن - وينهاهم عن المنكر - أي كل ما هو قبيح - ويحلّ لهم الطيبات، ويحرّم عليهم الخبائث)

وقد استنبط العلماء من هذه الآية الكريمة قاعدة مفادها أنّ كل طيّبٍ ومفيد فهو حلال، وكل خبيثٍ وضارّ فهو حرام.

وعليه، فلا يمكن لعقل سليم أن يعتبر هذه المواد القاتلة الخبيثة شيئاً طيباً أو نافعاً، لما فيها من أضرار كثيرة.

1, 3, 2. دليل من السنّة النبويّة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»⁵ أي: كل ما يذهب العقل ويُسكر يُعدّ خمرًا، وكل خمر حرام.

فاستناداً إلى هذا الحديث الشريف، فإنّ كل مادة مسكرة تدخل في حكم الخمر، وتحمل نفس الحرمة الشرعية.

1, 3, 3. دليل من إجماع العلماء: قال ابن حجر الهيتمي: "استعمال المواد المخدّرة من الكبائر والفسوق، كاستعمال الخمر؛ فكل وعيد ورد في حق شارب الخمر، يلحق مستعمل المواد المخدّرة، لأنّ كليهما يشتركان في إزالة العقل، الذي هو محلّ التكليف في الشريعة، وبالتالي يستحقّ نفس الوعيد".⁶

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في حكم الحشيشة: «وأما الحشيشة الملعونة المسكرة، فهي بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام بإجماع العلماء، بل كل ما يزيل العقل فإنه يحرم أكله ولو لم يكن مسكراً كالبنج».⁷ ومن هنا، فإنّ حرمة تعاطي المخدّرات مسألة مُجمّعة عليها بين العلماء، ولا خلاف في ذلك، لأنّ استعمال هذه المواد يُعدّ تجاوزاً خطيراً على الضروريات الخمس التي حرص الإسلام على حمايتها بكل الوسائل، وهي: الدين، النفس، النسل، المال، والعقل. وقد اعتبر الإسلام الاعتداء على أيٍّ منها جريمة عظيمة، ورَتّب على ذلك عقوبات صارمة حفاظاً على الفرد والمجتمع.

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

2. عوامل انتشار المخدرات

توجد أسباب عديدة تؤدي إلى انتشار المواد المخدرة في المجتمعات، فمنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما يتعلق بالشخص نفسه. بعض هذه الأسباب ملموسة ومشاهدة، ويمكن ملاحظة أثرها بوضوح في المجتمع، في حين أن بعضاً منها غير ملموس، ولا يدركها إلا المختصون والخبراء.

وسنقتصر هنا على ذكر الأسباب التي ثبت أثرها بشكل واقعي وعملي في انتشار المخدرات، ومعظم هذه الأسباب مأخوذة من أشخاص قضت المخدرات على حياتهم، فإليكم أهم هذه العوامل:

2, 1. ضعف الإيمان: لعلّ أبرز الأسباب التي تدفع الإنسان لتعاطي المواد المخدرة هو ضعف الوازع الديني، فالشخص المتمسك بدينه من النادر جداً أن يُقبل على تعاطي المخدرات أو التجارة بها أو تهريبها أو استخدامها بنفسه؛ لأنه إذا كان للعبد صلة بالله، وكان يؤدي الفرائض من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وغيرها من العبادات، فلا يُعقل أن يسلك طريق الشيطان، لأن هذا الطريق يتنافى تماماً مع طريق الرحمن.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: 45)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخُمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ».⁸

ويُفهم من هذا الحديث الشريف أن الإيمان الحقيقي يمنع الإنسان من اقتراف المعاصي والجرائم، وإذا ارتكب شخص ما مثل هذه الأفعال، فإنما يدل ذلك على ضعف أو غياب الإيمان الحقيقي الذي يشكل حاجزاً أمام تلك المحرمات.

2, 2. البطالة وكثرة الفراغ

إن المسلم المتدين لا يعرف معنى البطالة، لأن الكسل والتواكل لا مكان لهما في قيم وتعاليم الإسلام. فكيف لمسلم أن يكون عاطلاً، والآيات القرآنية الكثيرة تحثه على العمل، وتنهى عن الكسل والغفلة؟

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: 39)

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»⁹

2, 3. مصاحبة الأصدقاء السيئين

ومما هو ثابت في واقع الحياة أن الشباب يتأثر بعضهم ببعض، فقد يكون هذا التأثير إيجابياً فيعود بالنفع والصلاح، أو سلبياً فيقود إلى الفساد والهلاك.

الدكتور: رحمة الله مهرباني، والدكتور: غياث الدين عبيد

قال الله تعالى في هذا السياق: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 28-29)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِلَّا مَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بِدَنِّكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»¹⁰

2, 4. المشاكل العائلية

تُعَدُّ المشاكل العائلية من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الوقوع في فحِّ الإدمان، إذ إنّ الخلافات بين الزوج والزوجة أمام الأبناء، أو وقوع الطلاق، أو غياب أحد الوالدين، كلّها عوامل تؤثر تأثيراً بالغاً في دفع أفراد الأسرة إلى تعاطي المخدرات، لأنّ كل فرد منهم يسعى للهروب من هذه الحياة العائلية البائسة.

فعلى سبيل المثال، إذا نشب خلاف بين الأب والأم حول أمرٍ ما، فمن الأفضل أن يتم هذا الخلاف بعيداً عن أنظار الأبناء، لأنّ وقوع الشجار أمامهم يترك أثراً سلبية عليهم، فيبحثون عن بيئة يشعرون فيها بالراحة بعيداً عن جوّ المنزل المتوتر.

فإذا وقفوا إلى جانب الأب، فإنّ ذلك يُغضب الأم، حتى وإن كان رأيها خاطئاً، وإذا انحازوا إلى الأم، فإنّ الأب يشعر بالنفور منهم، وقد يُقدِّم أحياناً على تصرّف خطير، كطردهم من المنزل، وهنا - لا قدر الله - تقع المصيبة.¹¹

2, 5. المشاكل الاقتصادية والفقر

من الواضح أنّه إذا كان الشاب المسلم لا يجد في بيته طعاماً أو لباساً كافياً، ولا يجد من يعينه على حياة كريمة، بينما يرى أصدقاءه يعيشون في رفاهية ونعيم، وهو محروم بينهم، حتى إنّه لا يجد قوت يومه وليلته، فإنّه بلا شك يُجبر على مغادرة البيت باحثاً عنّ يساعده. وهنا يجد أصدقاء السوء، والمنحرفون، وتجار الموت والطامعون الفرصة المناسبة للإيقاع به؛ فيُظهرون له المساعدة أولاً، حتى يوقعوه في نفس الفحِّ الذي سقطوا فيه من قبل.

ويُعَدُّ الفقر من الظواهر المدمومة في الإسلام، حتى إن الإسلام قدّم أوسع برنامج لاستئصال هذه الظاهرة الخطيرة من المجتمعات الإنسانية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذمّ الفقر: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»¹²

وقال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ»¹³

3. سُبل الوقاية وعلاج تعاطي المخدرات

3, 1. العلاج بالعبادة

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

سبق أن ذكر أن من أهم وسائل الوقاية من شرور المخدرات غرس القيم الإسلامية في قلب الشاب المسلم. فإذا اكتملت العبادة وأدبت على وجهها الصحيح، فإنها تحبب إلى النفوس وترغب فيها القلوب، فيعيش الناس في جوٍّ إيماني نقي، بعيد كلَّ البعد عن الرذائل ومحبة المنكرات. فالقلب البشري دائماً يشعر بالحاجة إلى الله، وهذا شعور صادق وأصيل لا يُعوّض بشيءٍ آخر، ولا يتحقق إلا من خلال الصلة الحقيقية مع الله عز وجل، والتي تتجسّد في أداء العبادات بشرط أن تكون موافقة للشرع.

فما من شيءٍ أحبَّ وأطهر وألذَّ عند القلوب السليمة، والأرواح الزكية، والعقول الواعية من محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه. وإن الحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه نتيجة العبادة، لا تعادلها أي حلاوة دنيوية أخرى.

وهذا القلب لا يصلح، ولا يُفلح، ولا يجد سكونه وطمأنينته إلا بعبادة الله تعالى والرجوع إليه.

فحياة المسلم كلها عبادة لله، وفي هذه الحياة لا مكان للانحراف، ولا مجال لجلسات الفسق أو تعاطي المخدرات. كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162)

أي إنني أعبد الله وحده، وأجعل حياتي كلّها ومماتي في سبيل طاعته، راجياً رضاه، مُعرضاً عن سواه.

3, 2. العقوبة

إنَّ الشريعة الإسلامية شريعةٌ كاملةٌ وخالدة، ولذا فقد وضعت قوانين تضمن مصالح الناس في معاشهم ومعادهم. ومن هذه القوانين تشريع بعض العقوبات التي تُطبّق على من يُخلّ بالنظام الاجتماعي، أو يعتدي على كرامة الأفراد، أو ينتهك حقوقاً خاصة أو عامة.

فالعقوبة في الإسلام هي جزاء يُفرض من أجل مصلحة المجتمع على مخالفة أمرٍ من أوامر الشارع؛ والغاية من تطبيقها إصلاح حال البشر، وحمايتهم من الفساد، وإنقاذهم من الجهل، وهدايتهم من الضلال إلى الرشاد، وردعهم عن المعاصي، ودفعهم إلى الطاعة والعبادة.¹⁴

واستعمال المخدرات، كغيرها من المسكرات، حرامٌ في الإسلام، ومُتعاطيها يستحق العقوبة، ولا خلاف بين العلماء في تحريم المخدرات، وكذلك لا يرى بينهم خلافاً كبيراً في ضرورة تشديد العقوبة على من يتناولها؛ لأن المتعاطي يهلك نفسه أثناء تعاطيها، وقد نهي الله عن ذلك في كتابه الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: 195)

وإنما وقع الخلاف بين العلماء في نوع العقوبة التي تُطبّق على متعاطي المخدرات: هل تُطبّق عليه حدّ شرب الخمر؟ أم يُعاقب بعقوبة تعزيرية؟ وهذا الخلاف وتفصيل أدلته لا يسع ذكره في هذا المختصر.

3, 3. منع زراعة وتجارة المخدرات

الدكتور: رحمة الله مهرباني، والدكتور: غياث الدين عبيد

إنَّ زراعة وتجارة المواد المخدرة تُلحق ضرراً بالغاً بالأفراد والمجتمع، وهي من باب التعاون على الإثم والعدوان، ونشر الصفات الذميمة في المجتمع، والمساهمة في تفشي الجريمة، والتعاون مع المجرمين، في حين يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: 2)

فزراعة الحشيش، والتبغ، والخشخاش بقصد استخراج المخدرات للاستعمال أو التجارة، بأي دافع كانت، حرام شرعاً؛ وذلك لأن النصوص الشرعية منعت من بيع العنب لمن يعتزم صنع الخمر منه. وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك: «من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه من يهودي أو نصراني أو ممن يتخذه خمرًا فقد تقحم النار على بصيرة»¹⁵

وعلى هذا الأساس، فإن من واجب الحكومة الإسلامية أن تبذل قصارى جهدها وبكامل إمكانياتها ومعداتها لمنع زراعة وتجارة المخدرات، لأن أنجع وسيلة لمحاربة هذه الآفة الخطيرة واقتلاعها من جذورها تكون عبر الوقاية، وهي أقل تكلفة بكثير من معالجة نتائجها. فالإجراءات الحكيمة من قبل الدولة، إضافة إلى توفير فرص العمل، وتقديم بدائل زراعية مفيدة وآمنة للمزارعين، تُعدّ من أفضل الوسائل لإنقاذ المجتمع وأفراده من هذه الآفة السامة والمدمرة.

3, 4. إنشاء المراكز العلاجية ومراكز علاج الإدمان

إنَّ الإسلام الحنيف يولي أهمية عظيمة لحفظ النفس البشرية ومصالح أفراد المجتمع، ومن هذا المنطلق، فقد وردت في التعاليم الدينية العديد من الأحكام والتوجيهات حول كيفية الحفاظ على صحة الإنسان وأهمية هذا الأمر من منظور إسلامي. فكل اعتداء على النفس البشرية بدون مبرر شرعي أو قانوني يعدّ حراماً، ويستحق المعتدي العقوبة المحددة بحسب نوع الجريمة في الشريعة والقانون.

وعليه، فإنَّ الإسلام يعتبر الاعتداء على جسم الإنسان ونفسه جريمة عظيمة، وفي المقابل، فإنَّ حفظ النفس وإنقاذها له مكانة عالية جداً عند الله تعالى، كما بيّن في قوله سبحانه: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة: ٣٢).

فالله تعالى يُعظّم من شأن إنقاذ نفس واحدة ويجعله بمنزلة إحياء البشرية جمعاء. ومن هذا المنطلق، فإنَّ إنشاء المستشفيات والمراكز العلاجية ومراكز علاج الإدمان، وتقديم الخدمات الصحية للمرضى والمحتاجين، يُعدّ تطبيقاً عملياً لإحياء الأنفس ومصادقاً واضحاً لهذه الآية الكريمة.

وبناءً على هذه الآية الشريفة، فإنَّ إنشاء وبناء المراكز الصحية والعلاجية يُعدّ من الفضائل والأعمال الصالحة، ويُعتبر مظهراً حقيقياً للتعاون وإنقاذ حياة الناس في الدنيا.

3, 5. توفير فرص العمل للأفراد بعد العلاج

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

يقدم الإسلام برنامجاً شاملاً ومتكاملاً في مكافحة الفقر وتوفير فرص العمل لأفراد المجتمع الإسلامي من خلال التعريف بالمصادر الاقتصادية. وفي النظام الإسلامي، لا تقتصر مسؤولية الإمام أو الحاكم على حفظ الأمن وتنفيذ الأحكام، بل تشمل أيضاً شؤون المعيشة، والكرامة الإنسانية، ورفاهية الناس، إذ تُعدّ الحكومة الإسلامية في هذا النظام وسيلة لتحقيق العدالة، ومكافحة الفقر، وتوفير فرص العمل، ودعم المستضعفين. ويمكن للحاكم من خلال الأمانة وحسن استخدام الموارد المذكورة أن يؤدي مسؤوليته تجاه أفراد المجتمع.

وقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسؤولية الحاكم تجاه رعيته بقوله: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»¹⁶

أي أن كل فرد في موقعه مسؤول، وسيُسأل عن رعيته، سواء كان حاكماً، أو رب أسرة، أو امرأة في بيت زوجها، أو خادماً.

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً كاملاً في رعاية الرعية وتوفير العمل لهم، كما ورد في الحديث: جاء رجل من الأنصار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب الصدقة، فقال له: «هل عندك شيء في بيتك؟» قال: نعم، بطانية وقدر. فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - البطانية والقدر، وباعهما في السوق بدرهمين، وقال له: «اشتر بدرهم طعاماً لأهلك، وبالدراهم الآخر اشترِ فأساً واثني به» فلما جاءه بها، شدّ النبي - صلى الله عليه وسلم - لها عوداً بيده، ثم قال: "اذهب واحتطب وبع، ولا ترجع إليّ قبل خمسة عشر يوماً". فذهب الرجل، فاحتطب وباع، ورجع بعد أيام ومعه عشرة دراهم. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «هذا خيرٌ لك من أن تأتي يوم القيامة وعلى وجهك أثر المسألة»¹⁷

وبناءً على هذه الأحاديث والروايات، يمكن القول إن من جملة المسؤوليات الملقاة على عاتق الإمام أو الحاكم الإسلامي، إلى جانب باقي مهامه، هو العمل على توفير فرص العمل خصوصاً لأولئك الذين تعافوا من الإدمان، وذلك في إطار مكافحة ظاهرة الإدمان السيئة، ورفع المعاناة عن المتضررين منها.

4. المناقشة

تتناول هذه الدراسة الحالية موضوع انتشار المواد المخدرة وسبل الوقاية منها في المجتمع من منظور ديني وأخلاقي، وقد سلّط الضوء فيها على نقاط مهمة وقيمة في ضوء آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والآراء الفقهية. ومع ذلك، فإن الوصول إلى حلول عملية وشاملة يتطلب النظر بجدية واتساع إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية أيضاً.

وكما أُشير إليه سابقاً، فإن هذه الدراسة ركّزت بشكل رئيسي على الاستناد إلى النصوص الدينية والفقهية، لكنها من جهة أخرى لم تستفد بشكل كافٍ من المعلومات الميدانية والبحوث التجريبية.

الدكتور: رحمة الله مهرباني، والدكتور: غياث الدين عبيد

وقد أكدت هذه الدراسة على أن الابتعاد عن القيم الدينية يُعدّ من العوامل الأساسية في انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمعات الإسلامية، لأن الإنسان الملتزم بتعاليم دينه، وبالاعتماد على معتقداته وقناعاته الشخصية، يرى نفسه ملزماً بالابتعاد عن مثل هذه المحرمات والمخدرات. ورغم أهمية هذا العامل من المنظور الإسلامي، إلا أنه لا ينبغي التغافل عن تأثير العوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية التي تحيط بأفراد المجتمع.

إنّ الحكومة الإسلامية مطالبة بوضع سياسات شاملة وبرامج وقائية تراعي مختلف العوامل التي تدفع الأفراد نحو تعاطي المخدرات، لأنّ غياب التخطيط الدقيق يجعل مثل هذه المواجهة غير مجدية. فعلى سبيل المثال، من مهام الدولة الإسلامية منع زراعة المواد المخدّرة، إلا أنّ نجاح هذا الإجراء مشروط بأن تقدّم الدولة مسبقاً برنامجاً متكاملًا ومفيداً لزراعة بديلة لصالح المزارعين؛ وإلا فإنّ مثل هذا المنع، بدلاً من أن يكون رادعاً، قد يؤدي إلى ارتكاب المزيد من الجرائم من قبل الفلاحين والمهربين.

وفي الختام، فإنّ الجمع بين الحلول الدينية والأساليب العلمية والسياسات الدقيقة والشاملة من شأنه أن يزيد من فعالية برامج مكافحة الإدمان. ونأمل أن تسهم البحوث والدراسات المستقبلية، من خلال نظرة متعددة الأبعاد ومبنية على بيانات ميدانية، في إثراء هذا الموضوع واستكمالها بشكل أفضل.

5. الخاتمة

تُعدّ المواد المخدّرة من أكبر المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية في المجتمعات الإسلامية، وتمثّل تهديداً جدياً لصحة الإنسان الجسدية، والنفسية، والعقائدية. تناول هذا البحث دور الدين، والحكومة الإسلامية، والمجتمع، والأسرة في الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة ومواجهتها، من خلال نظرة معمّقة في التعاليم الإسلامية.

وقد أظهرت التحليلات العلمية في هذا البحث أنّ أسباب انتشار المواد المخدّرة لا تقتصر على العوامل الفردية، مثل ضعف الإيمان والبطالة، بل تشمل أيضاً مشكلات أوسع كتفكك الأسرة، والفقر الاقتصادي، ومجالات رفقاء السوء.

ومن منظور الشريعة الإسلامية، فإنّ حفظ العقل، والنفس، والكرامة الإنسانية من الضروريات الخمس (مقاصد الشريعة)، وكلّ ما يهدّد هذه القيم يُدان بشدة. واستعمال المخدرات يُعدّ من المهلكات التي تؤدّي بوضوح إلى تدمير العقل، والجسد، والأخلاق، ولذا فقد اعتبرتها النصوص الشرعية من الكبائر، ولم تكتف الشريعة بتحريمها، بل فرضت عقوبات على متعاطيها ومروجيها، بهدف الحدّ من انتشارها في المجتمع.

وقد طرح هذا البحث مجموعة من الحلول والسبل الوقائية والعلاجية، من أهمها: تقوية الإيمان والوعي الديني من خلال العبادة، تطبيق العقوبات الشرعية، منع زراعة وتجارة المخدرات، إنشاء مراكز متخصصة لعلاج الإدمان، وتوفير فرص عمل للمتعافين من الإدمان. ويُعتبر دور الحاكم الإسلامي في هذا الإطار محورياً، إذ يجب عليه أن يوفر سُبل العيش الكريم، وفرص العمل، والدعم الاجتماعي، مع ترسيخ القيم الدينية في المجتمع.

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

والنتيجة النهائية التي توصل إليها هذا البحث، هي أنّ القضاء على هذه الظاهرة المدمرة لا يكون إلا من خلال منهج شامل يجمع بين الدين، والتربية، والاقتصاد، والحكم الرشيد. فالإسلام، كدين متكامل، لا يرفض الإدمان من الناحية العقدية فقط، بل يقدم آليات فعّالة وعملية للقضاء عليه.

وعليه، فإنّ مكافحة المخدرات تتطلب تضافر الجهود، وحكماً ملتزماً، وتوعية مستمرة، والتزاماً راسخاً بالقيم الإسلامية، للوصول إلى مجتمع نقي، سليم، ومستقر.

- الهوامش:

- (1) ابن منظور، (1414هـ:). ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري. لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف. (1995م)، ج4، ص232.
- (2) القرابي، أبو العباس أحمد بن إدريس، الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق. تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية. (1418هـ) ج1، ص217.
- (3) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي. الزواجر عن اقتراف الكبائر. بيروت: دار الفكر، طبع الأول، (1407هـ) ج1، ص356
- (4) طيار، 1436هـ: ص50
- (5) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. صحيح المسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ب.ت) 6/ 100، حديث رقم: 5337.
- (6) نفس المرجع: 212/1
- (7) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم مجموع الفتاوى. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1416هـ، 204/24
- (8) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. قاهره: دار طوق النجاة، طبع الأول، 1422هـ. 3/ 136، حديث رقم: 5578.
- (9) نفس المرجع، 88/8، حديث رقم: 6412.
- (10) نفس المرجع، 63/3، حديث رقم: 2101
- (11) الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد. المخدرات في الفقه الإسلامي. تم التحميل من موقع عقيدة. 1436هـ. ص44.
- (12) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. المعجم الكبير. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. 1415هـ. ص319.
- (13) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. بيروت: المكتب العصرية، صيدا. (ب.ت) 4/ 324، حديث رقم: 5092
- (14) عودة، عبد القادر. التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي. بيروت: دار الكتب العربية. (ب.ت) 2/ 344
- (15) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ. 294/5، حديث رقم: 5356.
- (16) البخاري، نفس المرجع. 3/ 150، حديث رقم: 4490 و النيسابوري، نفس المرجع. 3/ 1459.
- (17) أبو داود، نفس المرجع. 120/2.

6. قائمة المراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي. أحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية. 1424هـ.
3. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد. 1416هـ.
4. ابن عابدين، محمد أمين. رد المختار على الدر المختار. بيروت: دار الفكر. 1412هـ.
5. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد. المغني لابن قدامة. مصر: مكتبة القاهرة. 1388هـ.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (1995م). لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف.
7. ابن نجيم، زين الدين الحنفي. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. بيروت: دار المعرفة. (ب.ت).
8. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. بيروت: المكتب العصرية، صيدا. (ب.ت).
9. البابري، أكمل الدين أبو عبد الله. العناية شرح الهداية. بيروت: دار الفكر. (ب.ت).
10. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. القاهرة: دار طوق النجاة، طبع الأول، 1422هـ. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل.
11. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. الفقه الإسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر. 1430هـ.
12. السرخسي، محمد بن أحمد بن شمس الأئمة. (1414هـ). المبسوط. بيروت: دار المعرفة.
13. الشيرازي، إبراهيم بن علي. (ب.ت). المهذب في فقه الإمام الشافعي. بيروت: دار الكتب العلمية.
14. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ.

العوامل المؤدية إلى انتشار تعاطي المخدرات وسبل الوقاية منها في ضوء الفقه الإسلامي

15. الطبراني، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني. (1415هـ). المعجم الكبير. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
16. الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد. المخدرات في الفقه الإسلامي. تم التحميل من موقع عقيدة. 1436هـ.
17. عودة، عبد القادر. التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي. بيروت: دار الكتب العربية. (ب.ت).
18. العيني، بدر الدين. البناية شرح الهداية. بيروت: دار الكتب العلمية. 1420هـ.
19. القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق. تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ.
20. الكاساني، علاء الدين بن مسعود. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. بيروت: دار الكتب العلمية. 1406هـ.
21. المرغيناني، علي بن أبي بكر. الهداية في شرح البداية. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ب.ت).
22. النيسابوري، مسلم بن الحجاج. صحيح المسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ب.ت).